الوظائف الأسلوبية للتكرار في ديوان (جنة الأطفال) لجميلة زنير

أ. عليمة نعون
أ.د/ عبد الرزاق بن السبع
جامعة باتنة 1
naoun05alima@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الوظائف الأسلوبية التي تؤديها ظاهرة التكرار في النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، في محاولة للتعرف على طبيعتها وكيفية بنائها وتوظيفها في ديوان (جنة الأطفال) لجميلة زنير توظيفا دقيقا، لتصبح أداة جمالية تخدم النص الشعري وتجعله معبرا كاشفا عن سر ميل الشاعرة إلى هذا النمط الأسلوبي دون غيره، ذلك أن التكرار ظاهرة أسلوبية تؤول إلى إنتاج دلالة سياقية عميقة، ولهذا وقف البحث على تبيين أنماط التكرار ومستوياته في هذا الديوان ودورهما في تكوين سياقات شعرية قادرة على تجسيد تجربة الشاعرة والتعبير عن نفسيتها وأفكارها، إضافة إلى دورها في العمل على تلاحم أجزاء القصائد وشحنها بالدفق الإيقاعي، دون أن يغفل البحث الدور البارز للتكرار في التأثير على المتلقي الصغير وجذب انتباهه ليعيش داخل الحدث الشعري الذي تصوره الشاعرة.

الكلمات المفتاحية: الوظائف الأسلوبية، التكرار، جميلة زنير، النص الشعري.

Abstract

This research paper aims to identify the stylistic functions of repetion in children's poetry in Algeria , trying to identify its nature, how to build it and how to use it well in the collection of poems (Djannat El Atfal) of DjamilaZenir to be an aesthetic tool to serve the poetic text and make it expressive to discover the secret. of the poet's interest to this style and prefering it to others is due to the profond contextual connotion of repetion. There forethis research stands at the types of repetion and its levels in this collection of poems, and their role in the formation of poetic texts to make them to reflect the experience of the poet and express her feeling and ideas. In addition to work on the chain up of the parts of the poems and fill them with rhyme. The research didn't neglect the role of repetion in influenting

little learner and attract his attention to be in poem's topic or scene and that the poet wanted to imagine and create.
Keywords: stylistic functions, repetition, Djamilazanir, poetic text.

Résumé

L'objectif de cette recherche est de découvrir les fonctions stylistiques engendrées par le phénomène de la répétition dans le texte poétique destiné aux enfants en Algérie, dans un essais d' identification de sa nature, sa structure et son utilisation dans le Diwan (Djannat El-Atfal) de Djamila Zanir pour utiliser ce phénomène d'une manière précise afin qu'elle devienne un outil esthétique au service du texte poétique qui sert une expression claire du secret du poète. La répétition est un phénomène stylistique qui même a la production d'une contextuelle profonde. C'est pour cela que la recherche s'est basée sur les différents niveaux .

Dans ce Diwan, ainsi que leurs rôles dans la formation de contextes poétique capables de réfléchir l'expérience du poète et d'exprimer sa personnalité et ses idées. En plays, le poète a joué un rôle dans l'harmonie des différentes parties du poème sans oublier. L'importance de la répétition qui agit le petit récepteur et attire son attention pour qu'il puise vivre l'évènement poétique imaginé par l'auteur.
Les mots-clés: fonctions stylistiques, répétition, Djamila Zanir, texte poétique

توطئة:

التكرار أحد علامات الجمال البارزة، وهو من الظواهر الأسلوبية التي تستخدم لفهم النص الأدبي، ومصطلح عربي كان له حضوره عند البلاغيين العرب القدامى، ويعد التكرار من أهم الأدوات الإبداعية التي اعتمدها الشعراء المحدثون في نظم قصائدهم، كما كان « معروفا للعرب منذ أيام الجاهلية الأولى، وقد ورد في الشعر الجاهلي بين الحين والحين، إلا أنه لم يتخذ شكله الواضح إلا في عصرنا وبشكل خاص في نماذج الشعر الحر »[1]

ويشكل التكرار في الشعر العربي ميزة جوهرية، فهو يبعث الروح في القصيدة، حيث يتناغم معها من خلال إضفائه جرسا موسيقيا على إيقاعها، وللتكرار كذلك أثر على الذات المتلقية،

[1]- يوسف الصائغ، الشعر الحر في العراق، دراسة نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2006، ص 189.

إذ يظهر مقاصد الشاعر المبثوثة في القصيدة الشعرية، فهو إذن ينبئ بالحالة النفسية التي تنتابه.

وهذه الظاهرة لم تكن مقتصرة على النص الشعري المكتوب للكبار وحده، بل تعدت إلى توظيفها من قبل شعراء الأطفال، فالقارئ للنص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر يلحظ اعتماد الشعراء على التكرار كظاهرة موسيقية ومعنوية لها أثرها على النص من جهة، والمتلقي الصغير من جهة أخرى.

وعلى هذا الأساس، نحاول في هذا البحث الإشارة إلى مفهوم التكرار، وأنماطه، ومستوياته في ديوان (جنة الأطفال) لجميلة زنير، مبينين فوائده وجمالياته ووظائفه الأسلوبية، ليكون بذلك هذا الديوان عينة من العينات التي تم فيها توظيف التكرار في النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر.

1/ مفهوم التكرار:

أ/ لغة:

كرر، الكر: الرجوع، ويقال: كره وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى، والكر مصدر كر عليه يكر كروكروراوتكرارعطف، وكر عنه، رجع على العدوي يكر، ورجل كرار ومكر وكذلك الفرس، وكرر الشيء، وكرره أعاده مرة بعد أخرى، والكرة: المرة والجمع الكرات، ويقال: كررت عليه الحديث وكركرته إذ رددته عليه، وكركرته عن كذا كركرة إذ رددته.

والكر: الرجوع على الشيء ومنه التكرار.[2]

ب/ اصطلاحا:

التكرار ظاهرة أسلوبية، تداولها البلاغيون العرب محاولين دراستها، من خلال الشواهد الشعرية والنثرية، فوضعوا لها تعاريف وبينوا أثرها، ومن بين هذه التعاريف ما قيل: « أن التكرار هو تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغما موسيقيا، وهو أسلوب يحتوي على كل ما ينظمه أي أسلوب من إمكانيات تعبيرية »[3]

---

[2]- محمد بن مكرم بن علي بن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، مج7، 2003، ص 632، مادة كرر.

[3]- يوسف سليمان الطحان، السمات الأسلوبية في القصة القرآنية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مج10، ع3، ص 216.

ويعرفه ابن الناظم بأنه: « إعادة اللفظ لتقرير معناه ويستحسن في مقام نفي الشك »[4]
فالتكرار عبارة عن الإتيان بشيء مرة أخرى وهو من سنن العرب في كلامها، ومن أساليب محاسن الفصاحة، فإذا أرادوا الإبلاغ عن شيء معتنى به كرروه توكيدا.[5]
ويتحدد مفهوم التكرار في أبسط مستوى من مستوياته بأن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه، سواء أكان اللفظ متفق المعنى او مختلفا، فإن كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إتيانه تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس، وكذلك إذا كان المعنى متحدا واللفظان متفقان والمعنى مختلفا، فالفائدة من الإتيان به للدلالة على المعنيين المختلفين، وحين يدخل التكرار في المجال الفني فإن قدرته على التأثير في هذا المجال تتجاوز هذه الفائدة، إذ يعمل على توليد فوائد جديدة داخل العمل الفني، والتكرار هو أساس الإيقاع بجميع صوره، فنجده في الموسيقى، كما نجده أساسا في نظرية القافية في الشعر.[6]
ولقد أخذ مصطلح التكرار في الدراسات الحديثة منحى جديدا، إذ اعتبره النقاد المحدثون مظهرا من مظاهر التماسك النصي، يحقق ترابطا وتلاحما لأجزائه، كما يساهم في تقوية معانيه، والتأكيد على دلالاته، فعرفه البغدادي بقوله: « إن التكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظة أو المعنى»[7]، فهذا التعريف يحيلنا إلى أن التكرار يكون إما بتكرير اللفظة أو تكرير المعنى ولا يكررهما معا.
أما محمد خطابي فيعده « شكلا من أشكال الاتساق يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له، أو شبه مرادف أو عنصرا مطلعا أو اسما»[8]، فالخطابي يعتبر التكرار عنصرا من عناصر التماسك النصي.

[4]- ضيف الجيلاني، موسوعة البلاغة العربية المبشرة، باب الزوار، الجزائر، (د، ط)، 2009، ص 209.
[5]- ينظر، جبار إهليل وآخران، أسلوبية اللغة عند نازك الملائكة، بابل، 2011، ص 101.
[6]- ينظر، محمد صابر عبيد، حساسية الانبثاقية الأولى جيل الرواد والستينيات، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2010، ص 200.
[7] - عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لسان العرب، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج1، ط2، 1997، ص 361.
[8] - أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة، دار الجيل، بيروت، لبنان، مج1، ط1، 1997، ص 401.

ونظرا لأهمية التكرار التقنية والايديولوجية فقد استوقف كثيرا النقاد الغربيين باسم التكرار حينا (La répétition) وباسم التواتر أو التردد حينا آخر، وأشار جاك دريدا إلى التكرار ورأى أنه « سمات جوهرية في اللغة، لفظا وحروفا وأن هذه السمات هي المسؤولة عن بقاء اللغة قائمة مستمرة »[9]

وانطلاقا من هذه المفاهيم لمصطلح التكرار يتضح لنا مدى اهتمام الشعراء العرب المعاصرين بهذه التقنية ، حتى صارت لديهم من أبرز العناصر الإيقاعية التي تنحو باللغة نحو الكثافة والانسجام، وهذا ما دفع النقد العربي إلى إيلاء عنصر التكرار العناية بالدراسة معرفا به وبأنماطه، وذلك حسب الوظيفة التي يؤديها التكرار في بنية النص.

2/ أنماط التكرار ووظائفها الأسلوبية في ديوان (جنة الأطفال) لجميلة زنير:

أ/ التكرار الاستهلالي:

ويسمى أيضا بتكرار البداية، وهو « نمط تتكرر فيه اللفظة أو العبارة في بداية الأسطر الشعرية بشكل متتابع أو غير متتابع »[10]

وقد وظف شعراء الأطفال هذا النمط من التكرار في نصوصهم الشعرية بصفة عامة، وجميلة زنير في ديوانها (جنة الاطفال) بصفة خاصة، لما له من أثر ووقع إيقاعي على الطفل، الذي يستسيغ هذا النوع من التكرار، حيث يجعله يحفظ القصيدة بسهولة، ومن ثمة يساعده هذا النمط على فهم ما يقرأ.

وفي الديوان ورد التكرار الاستهلالي في أربع عشر ة قصيدة من مجموع ستة وثلاثين قصيدة، وتتمثل في العناوين التالية: (الشمس، النور، الرمانة، فتنة النهار، المشمش، الربيع، الصيف، سيد الفصول، الشتاء، الحصان، الأطيار، الماء، العنابة، البرتقال)

والقارئ لهذه القصائد يلاحظ أن الشاعرة قد وظفت التكرار الاستهلالي بطريقة منتظمة ومنسجمة، إذ عمدت إلى تكرار البيت الشعري الأول في كل مرة بعد خمس أو ست أبيات شعرية، وهذا التكرار المتناسق الملاحظ راجع إلى رغبة الشاعرة في بناء قصائدها على إيقاع

[9]- محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 23.

[10]- حسن غرفي، حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2001، ص 81.

موسيقي منسجم، يبعث القارئ الصغير على تذوق النص وفهم دلالاته، ومثال ذلك قولها في قصيدة (فتنة النهار):

زَنَـابِقُ فَتّانَــة	**كَأَنَّهَـا إِنْسَانَــهْ**
تعملُ فِـي هُدُوءٍ	**ورِقَّــةِ فَنَّانَــهْ**
تحسُّ ضوْءَ الفجْرِ	**فتنشرُ الأطيَابَـا**
تحتفـي بالأنـوار	**فترتدي الأثوابـا**
تزيِّـنُ البُيُـوتَ	**تنـوِّرُ الأعْتَابَـا**
يَزْهُو بهَا النُظَّار	**فتُفرِح الأحْبَابَــا**
زَنَـابقُ فَتَّانَــة	**كأنَّهَا إنْسَانَـــهْ**
تعْمَلُ فِـي هُدوءٍ	**ورِقَّــة فَنانــهْ**
أَوْرَاقَهَـا ملوَّنـةٌ	**صُفْرَة وبيَاضَــا**
أشكَالُها الجميلَـة	**تجلل الأحواضَــا**
تسرُّ قَلْبَ المـرءِ	**تزيِّنُ الرِّيَاضــا**
فـي مَنْبَت الـوُرودِ	**توشِّحُ الحِياضَــا**
زنابِـق فَتَّانَــة	**كأنّـها إنْسانَــهْ**
تعمل فـي هدوء	**ورقّــة فنّانـــه**
ويقبِلُ الأصيـلُ	**فتجْمَـع الأطْرَافَــا**
تُـودِّع الجَمِيـعَ	**وتغلِقُ الأعْطَافَــا**
تخشى ضوء النّجوم	**والبَدْرِ والأطيافــا**
تنـام جنـح الليل	**وتبعث أصنافــا**
زنـابق فتّانــة	**كأنّـها إنسانـــه**
تعمل فـي هـدوء	**ورقّـة فنّانـــه**[11]

الملاحظ من خلال هذه الأبيات أن البيتين الأول والثاني قد تكررا أربع مرات في كامل القصيدة بشكل منتظم، مما خلف وقعا موسيقيا جذابا للقارئ الصغير، أما من حيث الدلالة، فإن تكرار هذين البيتين الشعريين في كل مرة يدل على شغف الشاعرة بالطبيعة ومظاهرها

[11]- جميلة زنير، جنة الأطفال، شعر للأطفال، منشورات السهل، الجزائر، 2009، ص 57.

الفتانة التي تأسر النفوس، وهو ما أرادت أن توضحه للطفل الذي يرى في الطبيعة الحضن الثاني الذي يحتويه بعد أمه، فإذا كانت الأم تجعله يفرح ويبتسم، فالطبيعة هي الأخرى تقوم بهذا الدور.

وفي قصيدة (سيد الفصول) تكرار استهلالي أدى الوظيفة الإيقاعية والدلالية ذاتها، بما خلفه من إيقاع وتأكيد للمعنى في نفس المتلقي الصغير، حيث تقول فيها الشاعرة:

إنَّهُ فصلُ الرَّبِيعِ
صدح الطّير غِنَاءَ
أعْطَتِ الشَّمْسُ ضيَاءً
والغديرُ انْسابَ ماءً
إنَّه فَصْلُ الرَّبِيعِ
أزَّتِ النَّحْلة طارَتْ
وعَلَى الزَّهْرَة صارَتْ
حَوْلها الأَطْيَارُ حَامَتْ
إنَّهُ فصلُ الرَّبِيعِ
أزْهرت كُلُّ البِطاح
غيّرت وجه الصّباح
عَبَقَتْ كلُّلأَقَاحي
إنَّهُ فصْلُ الرَّبِيعِ
وانتشى الزَّهْرُ دَلاَلاً
واكْتسَى السَّهْلُ جَمَالاً
وَسرَى المَاء زلاَلاً
إنَّه فصلُ الرَّبِيعِ
صدح الطَّيْر فأطْرَبَ
والنَّسيمُ صارَ أَطْيَبَ

والمِيَاه الآنَأَعْذَبَ
إنَّهُ فصْلُ الرَّبِيعِ[12]

إن الطفل وهو يقرأ هذه الأبيات يرسم لوحة في ذهنه تمثل فصل الربيع ومظاهر الطبيعة فيه، هذه اللوحة التي ترسخ ولا يمكنها أن تغيب عنه بملامحها وتفاصيلها، كون تكرار عبارة (إنه فصل الربيع) هو ما ساعد على ذلك، وبهذا يكون التكرار الاستهلالي قد أضفى على النص مسحة من الفن مؤكدا معانيه في ذات الطفل، الذي يتحول بدوره إلى قارئ إيجابي متذوق لما يقرأ.

ب/ التكرار الختامي:

يؤدي التكرار الختامي دورا مقاربا للتكرار الاستهلالي من حيث المدى التأثيري الذي يتركه في تصميم تشكيل البنية الشعرية، غير أنه ينحى منحى مغايرا في تكثيف الإيقاع، الذي يتمركز في خاتمة القصيدة[13]، وهو ما يحيلنا إلى أن التكرار الختامي هو تلك الكثافة الإيقاعية للغة الشعرية في خاتمة كل سطر من أسطر القصيدة الشعرية عبر ظاهرة التكرير التي تحدث لبعض عناصر اللغة، وقد اهتدى شعراء الأطفال في الجزائر إلى توظيف هذا النمط من التكرار في نصوصهم الشعرية، هادفين من وراء ذلك إلى إضفاء موسيقى إيقاعية على النص إضافة إلى التعبير عن المواقف بعمق، قصد التأثير في الطفل وإقناعه بما يقرأ.

وفي ديوان (جنة الأطفال) لجميلة زنير نسجل غيابا لهذا النمط من التكرار في كامل قصائد الديوان، ونستثني من ذلك ما ورد في قصيدة (صديقة الطيور)، حيث تقول فيها الشاعرة:

صَبِيَّةٌ أنيقَة تجُولُ في الحَدِيقَهْ

[12]- المصدر السابق، ص 71.

[13] –محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، ص 199، 200.

تقطِّعُ الفُتَاتَ بالأنْمُلِالرَّقِيقَهْ
وتُطْعِمُ طُيُورًا صارَتْ لَهَا صَدِيقَهْ
فتَجْلسُالصَبِيَّهْ تحسُّ بالسُّرورِ
تُحَدِّث الطّيورَ عن مُجملِ الأمورِ
عَنْ نعلِها الجديدِ والجَوْرَبِ الحَريرِ
وَثَوبِها الموشَّى بالطَّرْزِوالزُّهُورِ
عَنْ مئزرٍ معطَّرٍ بالمِسْكِوالعَبيرِ
تحَدِّثُ الطُّيُورَ عنْ مجمَلِ الأمورِ
عَنْ أمِّها الرَّؤوم عن الأبِ العَطُوفِ
عن الأخِ الصَّغِيرِ وصُورةِ الخروفِ
عن مَقعدٍ وثِير وقطِّها الألُوفِ
تحَدِّثُ الطّيورَ عن مجملِ الأمورِ
عَن مكتبٍ ظرِيفٍ رُصِّعَ بالنُّجومِ
عن صَحنِها المحَلّى بأروعِ الرّسومِ
عن لُعْبةٍ تحبُّ علّقت فِي الكرُومِ
تحَدِّثُ الطّيورَ عن مجملِ الأمورِ[14]

إن تكرار الشاعرة للبيت الشعري: (تحدث الطيور * عن مجمل الأمور) في ختام كل مقطع شعري وبشكل منتظم متناسق في كامل القصيدة كان بمثابة محطة استراحة تتعدد في خواتيم الأبيات الشعرية، وهو دليل أيضا على الاستقلال المؤقت أو الجزئي الذي يؤديه هذا البيت، وفي الوقت نفسه تتشكل كثافة إيقاعية تجتمع في نهاية المقطع لتتجدد في نهاية مقطع آخر يليه، وهكذا يقوم التكرار الختامي بتنويع موسيقى النص عبر العناصر اللغوية المكررة.

ت/ تكرار اللازمة:

[14] - جميلة زنير، جنة الأطفال، ص 15.

يعد تكرار اللازمة من أبرز التكرارات التي وردت في الشعر العربي المعاصر، بشكل ملفت للانتباه، الأمر الذي جعل النقاد يصفونه بهذه الخاصية –اللزوم– وقد أشار إليه محمد صابر عبيد قائلا عنه بأنه « تكرار يقوم على انتخاب سطر شعري، أو جملة شعرية تشكل بمستوييها الإيقاعي والدلالي محورا أساسيا ومركزيا من محاور القصيدة، يتكرر هذا السطر أو الجملة من فترة وأخرى على شكل فواصل تخضع في طولها وقصرها إلى طبيعة تجربة القصيدة من جهة، وإلى درجة تأثير اللازمة في بنية القصيدة من جهة أخرى، وقد تتعدد وظائف هذا التكرار حسب الحاجة إليها وحسب قدرتها على الأداء والتأثير »[15]

وتكمن الوظيفة التي يؤديها تكرار اللازمة في كونه يربط أجزاء القصيدة ويجعلها متماسكة، بحيث يحس القارئ بأنها وحدة كلية متلاحمة، ووحدة موسيقية ذات إيقاع واحد.

ويمكن أن يأتي تكرار اللازمة على ثلاث أنماط، إلا أنه ورد في النصوص الشعريةلديوان (جنة الأطفال) على نمطين اثنين، هما: تكرار اللازمة القبلية وتكرار اللازمة البعدية.

1/ تكرار اللازمة القبلية:

ترد اللازمة القبلية في بداية القصيدة، ويستمر تكرارها في بداية كل مقطع، بحيث تشكل مفتتحا إيقاعيا ودلاليا على عالم القصيدة، ومثالها ما ورد في قصيدة (أخوالي)، وهي النص الشعري الوحيد المشتمل على هذا النمط من تكرار اللازمة، تقول فيها الشاعرة:

يَا قَمَرْعالِي واهْدِنِي لأَخْوَالِي

أَجْوادٌ في الصَّحارِي يبذلونَ العطاءَ
أَنْعامُهمْ جِمالٌ تحمِّل الأَرْزَاءَ
نَسِيجُهُمْ أَوبَارٌ تشكِّلُ الخبَاءَ
وزَرْعُهم نَخِيلٌ يُجمِّلُ الأَرْجاءَ
ينقشُون الجُلُودَ والحُلي والقبَاءَ

يَا قَمَرْعالِي واهْدِنِي لأَخْوَالِي

فَوارسُ السُّهوبِ يمتطون الخيُولَ
يقلِّبونَ الأَرْضَ ليَبْذُرُوا البُقُولَ
يُربُّون النِّعاجَ يجْمعُون المحْصُولَ

[15] - محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، ص 204.

ينسُجونَ الأَصْوَافَ ليَحْفظُوا الأُصُولَ

يَا قمَرْعالِي واهْدِنِي لأَخْوَالِي

أفذاذٌ في السُّهولِ عاشُوا المدَى أحْرَارًا

يزْرَعونَ الكُرومَ والبقل والأشْجارَا... [16]

إن اللازمة القبلية (يا قمر عالي واهدني لأخوالي) تكررت في هذه القصيدة ثلاث مرات، فهيمنت دلاليا على المعنى من خلال تبيين مكانة الأخوال في الأسرة الجزائرية وخاصة بالنسبة للطفل، وإلى جانب هذا بقيت اللازمة محافظة على اتساقها الإيقاعي.

2/ تكرار اللازمة البعدية:

تتكرر في نهايات مقاطع القصيدة لتشكل بها استقرار دلاليا وإيقاعيا، وهي كثيرة في الشعر الموجه للأطفال، وقد وردت في بعض قصائد ديوان (جنة الأطفال) ممثلة في العناوين التالية: (الرئيس، الكشافة، عصا جدي، جنة الأطفال، الحمامة)،ويمكن التمثيل لهذا النمط بقصيدة (الرئيس) إذ تقول فيها جميلة:

رَئيسُنا المُفدَّى بنَفْسِه تصَدَّى

فَحاربَ الفَسادَ والعَبَثَالممْتَدَّا

بِرَأْيِهِ السَّدِيدِ كَانَ دومًا معْتَدّاَ

فقدَّسَ العُلومَ وكَافأَالمُجِدّا

رَئيسُنا المُفدَّى

فصَاحةُ بيَانِهِ توضِّحُالأَفْكَارَا

فيُدْلِي بالمُباح وَيَحْفَظُالأسْرارَا

ويسْكتُ حَياءً ليبهى النظَّارَا

يَلِينُ للصِّغارِ ويجِلُّالأبْرَارَا

رَئيسُنا المُفدَّى...[17]

لقد أتاحت هذه الهيمنة الإيقاعية لتكرار اللازمة البعدية في هذه القصيدة أداء الدور الوظيفي المنوط بها سواء على المستوى الدلالي أو على المستوى الإيقاعي، إذ هدفت من خلالها

[16]- جميلة زنير، جنة الأطفال، ص 08.

[17] - المصدر السابق، ص 06.

الشاعرة إلى دعم الفكرة المتمثلة في إدراك أهمية الرئيس ودوره في المحافظة على سلام الوطن وأمنه وأمن أهله، وتوكيد المعنى بغرض إقناع المتلقي الصغير وإثارة انفعاله.

3/ مستويات التكرار ووظائفها الأسلوبية في ديوان (جنة الأطفال):

يتحقق التكرار عبر ثلاث مستويات، هي:

أ/ على مستوى الأصوات (الحروف):

ويقتضي تكرار حروف بعينها في الكلام، ذلك لأن الحرف « يمثل أصغر وحدة إيقاعية في المفردة الداخلية في نسيج القصيدة الشعرية، ويكتسب في دخوله الشعري قيمة إيقاعية مضافة، من خلال الفعاليات التي تنهض بها مجموعة الأصوات المتجانسة والمتناثرة »[18].وهذا المستوى من التكرار يعطي الألفاظ التي ترد فيها تلك الحروف أبعادا تكشف عن حالة الشاعر النفسية.

وفي النصوص الشعرية العربية الموجهة للطفل الجزائري حضور لهذه الظاهرة، لما لها من دور هام في اكتساب القصائد فاعليتها الصوتية ونمطيتها المختلفة، ومن خلال هذا يتضح لنا أن التكرار الصوتي له قيمة في بناء صرح القصائد في مختلف جوانبها صوتيا وتركيبيا.

وفيما يلي نورد جدولا يوضح لنا تكرار الأصوات المفردة في قصيدة (الجوالون)[19] لجميلة زنير، نأخذها كعينة لتوضيح هذه الظاهرة، وقيمتها الفنية والموسيقية ومخارجها الصوتية:

الأصوات المكررة	صفاتها	مخارجها	عدد تكرارها	النسبة المئوية
الهمزة	شديد، منفتح	حنجري	45	%21,22
ب	شديد، مجهور، منفتح	شفوي	10	%4,71
ت	شديد، مهموس، منفتح	أسناني، لثوي	03	%1,41

[18]- الصالح زكور، جماليات المكونات الفنية في ديوان اللؤلؤة لعثمان لوصيف، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري الحديث، إشراف، د معمر حجيج، كلية الآداب واللغات، جامعة باتنة، 2012، ص 174.

[19]- جميلة زنير، جنة الأطفال، ص 39.

ث	رخو، مهموس، منفتح	بين الأسنان	01	%0,47
ج	شديد، مجهور، منفتح	شجري (غاري)	02	%0,94
ح	رخو، مهموس، منفتح	حلقي	04	%1,88
خ	رخو، مهموس، منفتح	حلقي	02	%0,94
د	شديد، مجهور، منفتح	أسناني، لثوي	04	%1,88
ذ	رخو، مجهور، منفتح	بين الأسنان	00	%0
ر	رخو، مجهور، منفتح، مكرر	لثوي	11	%5,18
ز	رخو، مجهور، منفتح	لثوي	00	%0
س	رخو، مهموس، منفتح	لثوي	04	%1,88
ش	رخو، مهموس، منفتح	شجري	06	%2,83
ص	رخو، مهموس، منفتح، صفيري	لثوي	04	%1,88
ض	شديد، مجهور، مطبق	أصول الثنايا	03	%1,41

ط	شديد، مهموس، مطبق	أسناني، لثوي	03	%1,41
ظ	رخو، مجهور، مطبق	بين الأسنان	01	%0,47
ع	رخو، مجهور، منفتح	حلقي	08	%3,77
غ	رخو، مجهور، منفتح	أدنى الحلق	01	%0,47
ف	رخو، مهموس، منفتح	أسناني شفوي	03	%1,41
ق	شديد، مهموس، منفتح	لهوي	04	%1,88
ك	شديد، مهموس، منفتح	ظهر اللسان	03	%1,41
ل	رخو، مجهور، منفتح	لثوي	29	%13,67
م	**مجهور، منفتح بين الشدة والرخاوة**	شفوي	06	%2,83
ن	رخو، مجهور، منفتح	لثوي	35	%16,50
هـ	رخو، مهموس، منفتح	حنجري	01	%0,47
و	**رخو، مجهور، منفتح (نصف صامت)**	شفوي	10	%4,71
ي	**رخو، مجهور، منفتح (نصف صامت)**	شجري	09	%4,24

المجموع الكلي: 212 صوتا.

النسبة الإجمالية: 96,87%

لصياغة هذا الجدول اعتمدنا على الترتيب الألفبائي للأصوات، وذلك من أجل الوقوف على الهيمنة الصوتية لقصيدة (الجوالون)، فقد اشتملت على كل أصوات اللغة العربية ماعدا حرفي الذال والزاي، وقد بلغ المجموع الكلي لأصواتها 212 صوتا، ونحن هنا بصدد دراسة ما يقرأ أو يسمع فقط، فالذي يكتب ولا ينطق لا نعتمده في الدراسة على غرار "ال" الشمسية، لكونه عديم التأثير في المتلقي، والمتأمل في عدد تكرار هذه الأصوات ونسبها المئوية الموضحة في الجدول، يلاحظ قدرة الشاعرة جميلة زنير على تطويع اللغة وأصواتها من خلال اختلاف نسب الصوت الواحد تلو الآخر.

وقد احتل صوت "الهمزة" الصدارة في التكرار بمعدل 45 مرة وبنسبة 21.22%، إلا أنه لا يمكن تصنيف تكرار الألف في الرتبة الأولى باعتبار بعض المواضع التي تكتب فيها الألف ولا تنطق كورود همزة الوصل في وسط الكلام، ولذلك احتل صوت "النون" المرتبة الأولى بنسبة 16,50%، إذ يغطي معظم الأبيات الشعرية، مع وقوعه رويا في أكثرها، وهو من الصوامت الأنفية، ومعنى ذلك « انحباس الهواء تماما في موضع من الفم وانخفاض الحنك اللين عندئذ يسمح بنفاذ الهواء عن طريق الأنف »[20]

ولقد عمدت الشاعرة إلى تكرار حرف النون خمسة وثلاثين مرة لغاية تقصدها في ذاتها، ولتؤكد المعنى الدلالي في النص، والمتمثل في حب الوطن والفخر به والتجول بين أحضانه، إضافة إلى ذلك، فإن تكرار صوت "النون" أضفى جرسا إيقاعيا في النص، فانسجم مع تجربة الشاعرة الشعورية مما أكد المعنى الصوتي والدلالي، ومن ذلك قولها في البيت الأول:

نَحْن أبْنَاء أَرْضِي نُقَدِّسُ الأَوْطانَ

إلى أن تقول في آخر بيت من القصيدة:

نُنْشدُ للأَوْطانِ نرَتِّلُالقُرْآنَا

وجاء أيضا صوت "النون" كما سبقت الإشارة حرف روي في معظم الأبيات، وقد أحال على الوحدة والحفاظ على العلاقات بين الأفراد، وهذا ما أكدته معاني الأبيات في الوقت الذي يتصف فيه حرف النون بأنه صوت ينقل الأنين والمعاناة، فالشاعرة هنا جعلته حرفا للتماسك، وهذا من شأنه التأثير على المتلقي.

[20] - توفيق البزاز، علم اللغة المعاصر، نظرية وتطبيقا، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص 174.

ويأتي صوت اللام في المرتبة الثانية بنسبة 13,67%، وهو في القصيدة يحمل معنى الإخلاص في العمل من أجل الوطن ولمّ شمل أبنائه والقيام بمختلف الأعمال اليومية جماعة تحت سقف هذا الوطن، وقد وزعته الشاعرة توزيعا هندسيا محكما مكنها من إحداث إيقاع منغم ذو بعد جمالي.

إن هذا المستوى من مستويات التكرار –تكرار الأصوات– يكاد يكون حكرا على النص الشعري الموجه للأطفال بصفة عامة، ويختص بمراحلهم الأولى، وفيه ينقل الشاعر الأصوات من الطبيعة الحية أو الجامدة أو أصوات آلات ، بحيث يدخل الشاعر المتلقي الصغير في جو إيحائي يحقق الإيقاع الموسيقي قبل الدلالي، ذلك لأن في هذا التكرار تنغيم وترديد وترقيص وهذا ما يستسيغه الأطفال ويجذبون نحوه.[21]

ب/ على مستوى الألفاظ:

هو تكرار لفظة بعينها، حيث يأتي هذا النوع من التكرار متعلقا بمعنى، ثم يتكرر مع معنى آخر في الكلام نفسه، أو بالمعنى عينه، ويأخذ شكلين أساسيين، هما:

1/ التكرار الانفرادي:

وهو عبارة عن تكرار مفردة سواء كانت حرفا أو اسما أو فعلا، تستغرق المقطع أو القصيدة، يرتكز عليها النص دلاليا وإيقاعيا، والغاية منه توكيد حالة لغوية عدة مرات بصيغ متشابهة أو متنوعة قصد الوصول إلى وضع شعري معين، ومثل هذا التكرار نجده يرد بكثرة في القصيدة الموجهة للطفل، كونه يحدث تأثيرا إيقاعيا فيزيد الألفاظ نغما يشد الأطفال، كما يحدث تأثيرا على المستوى الدلالي، غير أننا باطلاعنا على ديوان (جنة الأطفال) نجد أن الشاعرة لم تول هذا النوع من التكرار أهمية كبرى، وهذا يرجع لاهتمامها بتكرار العبارات أكثر من تكرار الألفاظ، لأسباب نحسبها تعكس الحالة الشعورية للشاعرة ومدى رغبتها في التأثير على المتلقي الصغير من خلال تكرار العبارة، وما ورد في هذا الشأن قليل جدا، وحتى ولو وجد فهو ليس بالمستوى المطلوب من وراء تكرار الألفاظ، ومثاله ما جاء في قصيدة (صديقة الطيور) التي قامت على تكرار لفظة (عن) وهي حرف جر، تكررت بمعدل ثلاث عشرة مرة في القصيدة

[21]- ينظر، العيد جلولي، النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، دراسة تحليلية لاتجاهاته وأنماطه وبنيته الفنية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، إشراف، د أحمد منور، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2004، ص 233.

بأكملها، وهذا ما جعلها تهيمن على المقطع الشعري من الناحية الإيقاعية ومن الناحية الدلالية، إذ ألقت بشحنتها العاطفية نغما سار عبر بقية مقاطع القصيدة ليشكل صورة إيقاعية غاية في الجمال والإبداع، خاصة وأن موضوع القصيدة يصور صداقة الفتاة مع الطيور التي هي عنصر من عناصر الطبيعة، وفي هذا نورد مقطعا تقول فيه جميلة:

تحَدِّثُ الطّيورَ عن مجملِ الأمورِ
عَن مكتبٍ ظرِيفٍ رُصِّعَ بالنُّجومِ
عن صَحنِها المحَلّى بأروعِ الرّسومِ
عن لُعْبةٍ تحبُّ علّقت فِي الكرُومِ
تحدِّثُ الطّيورَ عن مُجْملِ الأُمورِ[22]

2/ التكرار التراكمي:

تنوعت مدارس التكرار التراكمي وتشعبت اتجاهاته ووظائفه في النقد الحديث والمعاصر، تبعا للمدارس النقدية والأسلوبية الحديثة التي انبثق منها، فهناك من تناوله من زوايا جمالية، ومنها من تناوله من زوايا نفسية.[23]

ويعرفه محمد صابر عبيد بقوله: « يتحدد التكرار التراكمي في القصيدة الحديثة بفكرة خضوع لغة القصيدة بواقعها الملفوظ إلى تكرار مجموعة من المفردات سواء على مستوى الحرف أم الأفعال أم الأسماء، تكرارا غير منظم، لا يخضع لقاعدة معينة سوى لوظيفة كل تكرار وأثره في صياغة مستوى دلالي وإيقاعي محدد، ودرجة اتساقه وتفاعله مع التكرارات الأخرى التي تتراكم في القصيدة بخطوط تتباين في طولها وقصرها »[24]

ومعنى هذا أن التكرار التراكمي هو تكرار المفردات والجمل والتراكيب تكرارا عشوائيا يهدف الشاعر من خلاله إلى تحقيق وظائف دلالية وإيقاعية في القصيدة، ومثاله ما ورد في قصيدة (الرفاق) في ديوان الشاعرة جميلة،

إذ تقول فيها:

الْتقينَا كالرِّفاقِ

---

[22]- جميلة زنير، جنة الاطفال، ص 15.

[23]- ينظر، عصام شرتح، جماليات التكرار في الشعر السوري المعاصر، رند للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2010، ص 334.

[24]- محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، ص 219.

الْتقينَا
فَاجتمَعْنَا حلقَاتٍ
وأَعدْنَا مَا غنَّيْنَا
ورسمْنَا شكْلَ بَيْتٍ
وعَلَى الرَّسْمِ مشَيْنَا
الْتقينَا كالرِّفَاقِ
الْتقينَا
فَعَدوْنَا مُسْرِعينَ
وقصَدْنا التِّلالَ
وعَمَدْنا نستَرِيحْ
فجلسْنَا في الظِّلَالِ
وافْترَقْنَا كالرِّفاقِ
افترقنا
غربت شَمسُالعَشيّهْ
فرجَعنَا للدّيَارِ
مِثْلَ سِربٍ في البَرِيَّهْ
يقصدُعمقَ البَرارِي[25]

من خلال هذه الأسطر الشعرية نلاحظ أن الشاعرة قد كررت كلمة (التقينا) أربع مرات، مرتين بمفردها ومرتين قرنتها بلفظة (كالرفاق)، ثم لجأت إلى تكرار بالنقيض والمتمثل في ضد كلمة (التقينا) والمتمثل في (افترقنا) وقد وردت مرتين وهو تكرار وضح المعنى وبين حالة الرفاق في كل مرة يكونون فيها مع بعض، ونجدها أيضا قد كررت كلمة (رسمنا) إذ جاءت مرة فعلا ومرة اسما (الرسم)، وما ميز هذا التكرار أنه كان في سطرين متتاليين فأضفى جمالا فنيا أخاذا، وفي آخر سطر شعري تكررت لفظة (يقصد) التي وردت في السطر العاشر بصيغة الجمع (قصدنا)، هذه الأخيرة التي دلت على الرفاق، في حين دلت الثانية على السرب الذي شبهت

[25]- جميلة زنير، جنة الأطفال، ص 20.

الشاعرة الرفاق به، وما ميز القصيدة هو تكرار حرف العطف (الواو) في كل مرة وهذا ما حافظ على تماسك الأبيات واتساقها وانسجامها.

إن الشاعرة هنا اتخذت من هذه التكرارات التراكمية سواء للحروف أو الكلمات أداة لتصوير حالتها النفسية، فلقاؤها برفاقها يفرحها ويجعلها تلعب وتمرح معهم دون شعور بمضي الوقت، أما فراقهم لها يحزنها، وهو الأمر ذاته نجده عند الطفل الذي يستمتع كثيرا بحضور رفاقه معه، وما إن يغيبوا عنه حتى تجده عائدا إلى المنزل وهو حزين لفراقهم، فهي هنا شاركت الطفل أحاسيسه وما يختلجه بغية التنفيس عنه. ولقد أضفى هذا التكرار أيضا على القصيدة جمالية فنية قلما نجدها في قصيدة واحدة خاصة وأن الفئة المخاطبة هنا من الأطفال، وهؤلاء تجذبهم الإيقاعات الموسيقية والدلالات التي تحقق في نفوسهم التأثر والمتعة.

ت/ على مستوى التراكيب:

إن ظاهرة التكرار لا تقف على الحرف أو الكلمة فحسب، بل تتعدى ذلك وفي كثير من الحالات إلى تكرار العبارة، وهذا النوع من التكرار يسهم في تغذية إيقاع الخطاب الشعري الموجه للأطفال، ويكشف عن الحالة النفسية للشاعر عن طريق الكشف عن الأفكار التي يهدف إلى إيصالها.وهذا النوع من التكرار ترد فيه العبارة أو التركيب مكررا في المقطع أو في القصيدة لعدة مرات يصير في بعض الأحيان كلازمة تجدد الإيقاع في القصيدة، وتكون الجملة المكررة إما فعلية أواسمية، والشاعرة جميلة في ديوانها قد وظفت هذا التكرار بكثرة حتى صار عبارة عن لازمة قبلية ولازمة بعدية في معظم قصائد الديوان، كما سبق وأن أشرنا في حديثنا عن أنماط التكرار، ومثال ذلك ما ورد في قصيدة (جنة الأطفال) تقول فيها:

يا روْعةَالظّلالِ في روضةِ الأَطفَالِ
تُمتّعُ الجميعَ بالنُّور والجَمـــالِ
يَا جَنَّـةَالأَطْفَـالِ
كمْ فيكِ مِنْحِكايهْ لطِيفةٌللغَايـــــهْ
مُفيدةُالرِّعايَهْ لكَاملِ الأجْيـــــالِ
يَا جَنَّـةَالأَطْفَـالِ
فالطّفْلُ فيكِ يُنشدُ والبُلبُل يغَـــــرِّدُ
والمُشرفُ يردِّدُ خلاَصةَ الأمْثـــالِ

يَا جَنَّـةَالأَطْفَـالِ
يَا منتدَى الكبَارِ وروضَةَ الصِّغـــارِ
ومُلتَقَى الأفْكارِ في العلمِوالخَيـــالِ
يَا جَنَّـةَالأَطْفَـالِ[26]

إن اللازمة البعدية ممثلة في عبارة (يا جنة الأطفال) تكررت في كامل القصيدة أربع مرات، هيمنت دلاليا على المعنى من خلال مكانة الطبيعة ككل والحديقة بصفة خاصة لدى الطفل، وإلى جانب هذا بقيت اللازمة محافظة على اتساقها الإيقاعي.

ومجمل القول، أن الشعراء الجزائريين ممن كتبوا للطفل عمدوا إلى توظيف ظاهرة التكرار بأنماطها ومستوياتها المختلفة وأنواع كل مستوى، وجميلة زنير واحدة من هؤلاء كما رأينا من خلال تتبعنا للوظائف الأسلوبية لظاهرة التكرار في ديوانها (جنة الأطفال)، ويعود اهتمامهم بهذه الظاهرة لما لها من أثر ووقع على القارئ الطفل، فمن خلال النماذج الشعرية الموردة حاولنا الوقوف على أهم الجوانب الجمالية والدلالية التي يخلفها التكرار، والتي تحتاج إلى تجربة حتى يتم من خلالها تحقيق التأثير المنشود.

قائمة المصادر والمراجع:

1- يوسف الصائغ، الشعر الحر في العراق، دراسة نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2006.

2- محمد بن مكرم بن علي بن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، مج7، 2003.

3- يوسف سليمان الطحان، السمات الأسلوبية في القصة القرآنية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مج10، ع3، (د، ت).

4- ضيف الجيلاني، موسوعة البلاغة العربية المبشرة، باب الزوار، الجزائر، (د، ط)، 2009.

5- ينظر، جبار إهليل وآخران، أسلوبية اللغة عند نازك الملائكة، بابل، 2011.

[26]- المصدر السابق، ص 39.

6- ينظر، محمد صابر عبيد، حساسية الانبثاقية الأولى جيل الرواد والستينيات، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2010.

7-عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لسان العرب، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج1، ط2، 1997.

8- أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة، دار الجيل، بيروت، لبنان، مج1، ط1، 1997.

9- محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

10- حسن غرفي، حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2001.

11- جميلة زنير، جنة الأطفال، شعر للأطفال، منشورات السهل، الجزائر، 2009.

12- الصالح زكور، جماليات المكونات الفنية في ديوان اللؤلؤة لعثمان لوصيف، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري الحديث، إشراف د، معمر حجيج، كلية الآداب واللغات، جامعة باتنة، 2012.

13- توفيق البزاز، علم اللغة المعاصر، نظرية وتطبيقًا، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، 2010.

14- ينظر، العيد جلولي، النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، دراسة تحليلية لاتجاهاته وأنماطه وبنيته الفنية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، إشراف د، أحمد منور، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2004.

15- ينظر، عصام شرتح، جمالية التكرار في الشعر السوري المعاصر، رند للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2010.